البطالة

تجد في الناس من يتخلف عن الصف الأول ويصلي في آخر الصفوف ويشكو من تطويل الإمام في الصلاة ويستعجل الخروج من المسجد ومع ذلك هو من أول من يحضر الولائم وجلسات اللهو ويحضر الطرب ويقف خارج المسجد فيحدث صاحبه طويلا، ثم لا يفتح المصحف إلا نادراً وهو مدمن على قراءة الصحف والمجلات، وذكره لله قليل وهو من أكثر الناس كلاماً فيما لا ينفع ويسرف في الإنفاق على نفسه وشهواته ثم هو لا يعرف الصدقة ويستثقل سماع موعظة من واعظ أو شريط ويرتاح لسماع الأغاني والقصائد، وما هذه إلا البطالة وموت قلبه وخسة همته. أعاذنا الله من موت القلوب وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

الأقرب فالأقرب

من الدعاة والوعاظ من اشتغل بالناس ونسي أهله وأهمل أطفاله بحجة دعوة الناس وإصلاحهم، وهذا خلل في الواجبات، فإن القيام على الأهل واجب ودعوة الناس نافلة وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول. ثم ما فائدة إصلاح الآخرين مع فساد الأهل وضياع الأطفال؟ حتى إن بعضهم لا يدري عن أمور أطفاله ولا عن مقدار حفظهم لكتاب الله ولا لدقائق حياتهم وأخبارهم. وهذا تفريط كبير وخطأ ضخم، فأعط كل ذي حق حقه ولا تطفف في الحقوق ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

نتوب إلى الله تعالى

المؤمن يذنب ويتوب، والفاجر يمضي قدماً في الذنب لا يندم على خطيئته ولا يستغفر من سيئته. والمؤمن إذا أخطأ انكسر وندم وتحسر، والفاجر يخطىء ويضحك لأن قلبه قد مات. ورأيت أناساً انطفأ نور الإيمان في قلوبهم فهم يستهزءون بالدين وأهله ويتفكهون بالعلماء ويسخرون من الدعاة وليس للآخرة عندهم خبر، وتراهم لا يتناهون عن منكر فعلوه ويذكرون صاحب اللحية فيغمزون ويلمزون وهؤلاء قل أن يوفقوا لتوبة وإنابة بل هم أبعد شيء عن ذلك لأنهم يرون أنهم مصيبون ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ ورأيت من الصالحين من إذا أذنب أظلمت الدنيا في عينيه فبكى وشكى وانكسر وتأسف فعلمت أن في قلبه حياة فهو الموفق للتوبة ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا﴾.

حسن التصرف موهبة

رأيت طالب علم يحفظ في سنن الترمذي، وحفظه بطيء، وقد أخذ عليه حفظه ليله ونهاره وقطعه عن كل شيء حتى عن القرآن، فعلمت أن الاختيار وحسن التصرف موهبة.

التخصص ركن من أركان النجاح

وهو أن يتعرف الإنسان على قدراته ومواهبه والعمل الذي يناسبه

ثم يتوجه إلى هذا العمل بقوته ونشاطه سواء كان هذا التخصص علماً كالشريعة أو الطب والهندسة أو عملاً كالتجارة أو الزراعة أو البناء لأن من علامات الفشل عسف النفس وإكراهها على تخصص لا يناسبها، وقد ذكروا أن انشتاين أكبر رياضي في العالم كان بليدا في بعض المواد كالإنشاء والرسم ولكنه لما توجه للرياضيات أتى بالعجب العجاب، ومثل سيبويه إمام النحو وعبقري الدنيا طلب الحديث فلم يكن من اللامعين فيه فلما طلب النحو أدهش العالم لأن مواهبه تناسب مادة النحو وكم رأينا من طالب فاشل في بعض العلوم عبقري في علوم أخرى فلو أن كل طالب وجه إلى ما يناسبه لكثر العباقرة والمنتجون. وهذا يعطيك معرفة بفشل بعض خطط التعليم العام الذي يقوم على حشر المواد على طالب صغير في السن مبتدىء في العلم، وبهذه الطريقة في التعليم يفشل الطالب في بعض المواد التي لا تناسبه ويضعف في المواد التي يرتاح إليها، وقد درست أنا وزملائي في مرحلة المتوسط سبع عشرة مادة بما فيها الإنجليزي والحساب والهندسة والجبر والعلوم بأقسامها الثلاثة الفيزياء والكيمياء والأحياء والتربية والثقافة وغيرها، فأصاب الفشل والإحباط أكثرنا في كثير من هذه المواد وضعف محصولنا في مواد الدين والعربي وما ذاك إلا لأن من قرر هذه المقررات تنقصهم الخبرة والإدراك التام بمعرفة مواهب الطلبة، ولو أننا درسنا أربع مواد وهي القرآن والنحو والتوحيد والفقه لاستفدنا فائدة عظيمة ولنبغ منا من نبغ وكنا ارتحنا من هذه الفوضوية في المقرر وقد خرجنا من هذه المرحلة أضعف ما يكون في المواد

الأساسية أما الإنجليزي والرياضيات والعلوم فعليها السلام لم نستفد إلا العناء والتشتت وكراهية هذه المواد لأننا كنا نحفظ في القرآن والفقه والأدب ونطالب بحل الواجب مع النشاط الثقافي فكنا في حالة من العنت والمشقة والجلد لا يعلمها إلا الله فنصيحتي لمن أراد أن ينجح أن يتخصص وأن يجمع ملكته الفكرية على واحد أو اثنين أو ثلاثة فحسب لترى العجب العجاب في التحصيل والنبوغ والنجاح.

العلم المُيَسَّر

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، قال مجاهد: يسرنا العلم فهل من طالب علم. ومن خصائص العلم الشرعي سهولته ويسره، وما جاء تفسيره من قبل أهل البدع من المعتزلة وأمثالهم فإنهم أدخلوا مصطلحات وقعدوا قواعد ليست من الدين فاغترّ بها بعض أهل السنة فظنها من الدين، فتصور صعوبة العلم وهوله على الناشئة وضخموا ظرف تحصيله واشترطوا حفظ متن في كل فن مع دراسة المنطق وعلم الكلام وشيء من الفلسفة فكلت قرائح الطلاب وفترت هممهم وبردت عزائمهم حتى تركوا طلب العلم جملة، وإلا فإن الصحابة طلبوا العلم في مدة وجيزة في يسر وسهولة فنفعوا وانتفعوا، فنصيحتي لطالب العلم أن يترك الطرق الملتوية العرجاء وأن يقصد إلى علم السلف كتاباً وسنة وعليه بفهم المقاصد وفقه النصوص أما الوسائل والحواشي والردود فإنها مضيعة للعمر مشغلة للقلب وليست من العلم، ولم تكن المتون إلا بعد القرن الثالث يوم كثرت

مصطلحات الأعاجم على العلوم، ومن رزقه الله بصيرة اهتم بحفظ القرآن وتدبره والعمل به ودرس حديث النبي عليه الصلاة والسلام وميّز بين صحيحه وسقيمه وتفقه فيه وأخرج كنوزه ثم تهيأ للآخرة وترك فضول الكلام وفضول العلم وفضول الخلطة وفضول المال فإن العمر أقصر من ذلك والموت يأتي بغتة والغفلة غالبة والذنب حتم والله المستعان.

الشدائد

للشدائد التي تصيب العبد فوائد عظيمة لا يدركها إلا من شرح الله صدره، وأنار قلبه، فمنها أنها تفتح الأسماع والأبصار والقلوب، التي خيم عليها ليل النعم، وأناخ بها ضيف الرفاهية، وغطتها خجب الغفلة، ومنها أنها تقوي القلب وتوقظه من غفلته، وتنبهه من سكرته، ثم هي التي تجود الرأي، وتجعله حصيفاً دقيقاً عميق التفكير، كثير التجارب، قوي الإدراك ثم إنها تذكر بالنعم، وتجعل لها قيمة في النفس ووقعاً عند العبد، ومذاقاً عظيماً بعد انكشاف الكربات، وطعماً لذيذاً بعد نزوح الغمرات، ثم إن للفرج بعد هذه الشدائد سروراً لا يعدله سرور، وحبوراً لا يماثله حبور، وكان مثل العرب الدارج يقول:

الغمـــــرات ثـــــم ينجلنـــــه ثمـــت يـــذهبـــن ولا يجنـــه

ثم إنها تعود العبد على الصبر والاحتمال، فيكون عنده من المران والتعود والتدرب على تلقي الأحداث ما يهونها ويسهل أمر الشدائد.

الجهلة

من علامة جهل الإنسان فرحه بالدنيا ومبالغته في لباسه وافتخاره بنسبه ومنصبه وسروره بماله واحتقاره للناس، فإن هذا جاهل مركّب، لأن هذه الأمور يشترك فيها كل العالم ويعطاها الكافر الخسيس والوثني الملحد، وإنما الفرح بالتقوى والطاعة والعلم النافع فحسب ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ثم إن الدنيا ظل زائل لا تدوم على حال ومن عرفها قبحت عنده وهانت عليه:

دار متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً قبحاً لها من دار

داءُ الغَفْلَةِ

ركبت الطائرة مرات كثيرة فكنا بين السماء والأرض وهذا مظنة الخوف واللجأ إلى الله جلَّ في علاه ولكن أكثر الركاب أو كلهم مشغول بنفسه وقراءة ما أمامه من صحف ومجلات ولم أر منهم من يقرأ القرآن ويبتهل إلى الله بدعاء فعلمت أن الغفلة غالبة: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

ويا لنا من قوم غافلين حقًّا نمتطي الجو ونحن في الفضاء على قطعة حديد ثم نضحك ونلهو وكأننا نيام ولو كان في القلوب حياة لتضرعنا ولدعونا الله وأكثرنا من الاستغفار وتذكرنا الموت وجددنا التوبة ولكن القلوب صدأت والذنوب تتابعت وأكثر الجلساء عاطلون فارغون وشهوات الدنيا كالحة مع قلة الطاعة فهل من ناصح لنفسه يصيح بها علها أن تستفيق فقد تَقضَّى العمر في اللهو فيا حسرتاه من هذا

الإعراض: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾وهل للإنسان عمر آخر غير هذا العمر فلماذا نصرفه صرف الأحمق المبذر للدراهم وليس الغبن هنا لأن القلب في موت ولكن الغبن هناك إذا بعثر ما في القبور وحصل ما الصدور وعرض الكتاب المنشور.

من القلب إلى القلب

كان كلام السلف يؤثر في القلوب وكان وعظهم يقدح في النفوس لصدقهم مع ربهم وطاعتهم لمولاهم وأصبح الواعظ فينا اليوم ـ إلا ما ندر ـ مثل العامة فلا قيام ليل عنده ولا زهد صادق ولا معاملة خاصة مع الله، وبعضهم صار الوعظ عنده وظيفة يتقاضى عليها راتباً شهريًّا وربما وعظ الناس ليؤدي العمل الوظيفي فلا تجد لوعظه قبولاً، وقد كان ابن سمعون الواعظ الشهير يرضى بالقليل ولا يأخذ من أحد شيئاً ويلزم المسجد كثيراً وهو الذي وعظ عضد الدولة الملك الجبار حتى أبكاه فأرسل له كيس ذهب مع الخادم وقال للخادم: إن قبل الذهب فاقتله وجئني برأسه فلما أعطاه الذهب رده وقال: قل لسيدك أنا لا آخذ على وعظي أجرة وهذا ثوبي له معي أربعون سنة إذا دخلت بيتي طويته، وكان أبو معاذ الرازي إذا وعظ الناس تحول المجلس إلى مناحة وربما أغمي على الكثير منهم حتى قالوا عنه: لو ضرب بسياط وعظه الصخر لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب، وكان بعضهم يمرغ وجهه قبل الموعظة في التراب ويلح على ربه ويبكي ويسأله

القبول وأن يكون لكلامه وقع. وأصبح الواعظ فينا اليوم همه حسن كلامه ناسيا العمل فصار كلامه بارداً.

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد بن عمرو والأغر بن حاتم

معرفة بلا عمل

عرفت من الناس من يعرف الحلال والحرام ويذكر الموت ولقاء الله عز وجل ولا يعمل بمقتضى ذلك، فليس لديه خشية ولا قيام بالأوامر ولاترك للنواهي. وحادثت أناساً يخلّون بالصلاة فإذا لديهم قصص في التقوى وأخبار عن الصالحين وأحاديث عن السلف فعلمت أن المعرفة شيء والعمل شيء آخر وأن الفاجر لا يخالف الأمر لجهل ولكن لقلة الخوف وعدم المراقبة فلا يغرنك كلام من تكلم حتى يعمل لأن القول سهل والعمل صعب والمحك: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

فائدة

خير الوعظ والتدريس ما كان سهلا واضحاً يفهمه العامة وينتفع به الخاصة، وهذا نهج القرآن والسنة، أما مخاطبة نخبة من الناس بكلام خاص فهذا له نفعه في حدوده وزمانه فحسب، وقد يحتاج إليه وتبقى البركة والنفع الأعم في مخاطبة الجمهور.

ودع التوقع للحوادث إنه للحي من قبل الممات ممات
فالهم ليس له ثبات مثلما في أهله ما للسرور ثبات

لــولا مغــالطــة النفــوس عقــولهــا لـــم يصـــف للمتيقظيـــن حيـــاة

وإن تعجب فعجب أمرهم

تذاكرنا أنا وبعض الإخوة أمر كبار السن مع غفلتهم عما يراد بهم صباح مساء وكلنا غافلون في الجملة لكن هؤلاء أصبحوا على شفير القبر وذهب طيش الشباب منهم وضعف العظم ووهن الجسم ومع ذلك كأنهم صبيان في تصرفاتهم ولك أن تصدقني، لقد زرت أديباً مشهوراً قد زاد على الثمانين فإذا هو يكتب عن أودية ورمال الجزيرة العربية. فقل لي بربك: ما فائدة هذا العمل في الدنيا ومردوده على الناس؟! أما في الآخرة فبالإجماع لا ينفع شيئاً، وعرفنا رجلا قارب التسعين شارك مع فرقة الطرب والرقص كأنه ابن عشرين سنة. ورأيت شيخاً كبيراً يفرط في المزاح ويضحك ويلهو ويلغو كأنه طفل. فسبحان من قسم العقول وأيقظ من شاء وأغفل من شاء لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

مختارات

* لما رأى سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قوماً يتنفلون في المسجد بين الظهر والعصر قال: ليست هذه العبادة، العبادة هي: التفكير في دين الله والفقه عن الله.
* خالط الناس ودينك لا يَكْلِمُونَه ـ ولا حكيم إلا ذو تجربة ـ والوقار مع الناس والدعابة مع الأهل.
* سبحان الله ما أنفع صحيح البخاري مهما كرر ومهما قرىء من كتب

غيره.

* كلمة معاذ رضي الله عنه لرجل وصاه فقال: «قم ونم وصم وأفطر واكتسب ولا تأثم وابدأ بعمل الآخرة ثم عد إلى حظك من الدنيا ما تنظمه انتظاماً» أو كما قال.

* لما كان يخلو ابن المبارك رحمه الله مع كتبه قيل له في ذلك قال: أجالس الرسول ﷺ وصحابته.

* ما أحسن أن يجمع الخطيب والواعظ آيات وأحاديث ثم يوشحها بأسلوبه الجميل وبقليل من كلام الأئمة وبيسير من جيد الشعر والأمثال والقصص.

* الإلحاح في الدعاء توفيق من الله، والله عزّ وجلّ يقول بعد أن يبين أنه أصلح لزكريا زوجه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ وعمر رضي الله عنه يقول: «إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن أحمل همَّ السؤال».

* قال بعضهم: إني لأستغفر الله حتى أنال مطلوبي ولا يمنعني كوني في الطريق أو في السوق وربما استغفرت ألف مرة.

* ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، لا في الدنيا ولا في الآخرة فَلِمَ الحزن والهمُّ إذاً.

* ما أرق ساعة يخلو فيها المسلم مع رقائق الآيات والأحاديث والأشعار والسير فيذكر الموت ويسكب عبرات التوبة ودموع الإنابة.

* من له همة عالية ومقصد نبيل فليحفظها في قلبه وليكتم سره ثم يعمل في وسائلها ولا يثنيه لومة لائم أو إغراء مغر أو مراعاة أحد.

* ما برز الأخيار والنبلاء إلا بالشجاعة والثقة بالنفس، وإلا فإن عند غيرهم بضاعة وكنوز ولكنهم تخوفوا وجبنوا فما شعوا وما لعوا.
* المكرر أحلى، والعلم النافع ما اعتصم في كل مسألة فيه بدليل.
* على المبتدىء أن يخفي نفسه ويدس شخصه ولا يتعجل الظهور حتى يرش ويغلظ ساقه والبدايات لها أثر في النهايات.
* كلمة: لي، وأنا عندي، لا تليق بالعبد الفقير المسكين العاجز.
* إذا اختلطت الأصوات وكثر اللغط فليكن لك عند الله رغبات في الذكر والدعاء فهذا وقت الهمة العالية.

فما أطال النوم عمراً وما قصر في الأعمار طول السهر

* المفسدات كثيرة منها فضول الكلام والنظر والخلطة والطعام والنوم والجماع، وكثرة النوم تضيع الوقت على السالك، وأول اليوم مرحلة مباركة للمسافر تقطع عليه المسافات العظيمة..
* كثرة الخلطة بالناس تعوّد النفس الخمول والكسل عن طلب العلم والعبادة فهي ـ أي الخلطة ـ إما للنفع أو لرفع السآمة والملل.
* المجمر الهندي هو من عامل الله بالتقوى فنشر الله طيبه بين الناس فأحبته القلوب.
* أنفع التفسير هو معاني الكلمات اللغوية ومقاصدها أما التعلق بكلام الناس، وتشقيقاتهم فهو بعيد عن التفسير ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.
* الخلق الحسن وجه طليق وكلام لين، وأجمع تعريف له هو (ترك الغضب).

* الصادق يعرف صدقه في لحظه ولفظه وسماته ونبرة صوته.
* عمر رضي الله عنه يوم السقيفة يقول: وكنت زورت في صدري كلاماً لأقوله. فعلى المتكلم قبل أن يبدأ أن يهدأ ويجمع أفكاره ويركز ما يقوله ويبينه في صدره أولاً ثم يتكلم.
* من فقه الخطيب ترتيله وترسله في كلامه وتقليل إشارته وهدوء نبرته وقوة حجته.
* من جلس معك فلا تتركه حتى تزرع في قلبه خيراً ولو بكلمة أو حركة أو إشارة.
* دقائق الليل غالية فلا ترخصوها بالغفلة، والوقت هو الحياة.
* انظر لكتب شيخ الإسلام لما فيها من فقه ويسر وشمول وهذا من فتح الله عليه.
* قال ابن المبارك: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.
* رب آية واحدة من كتاب الله تعالى تحدث في القلب أثراً عميقاً واستجابة حية وسماعها بقلب واعٍ وسمع يقظ كفيل بالحياة.
* بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، والكرامة لزوم الاستقامة، وثبات النفس على الخير بلا تأخر نصر عليها.
* الجلوس مع البطالين حُمَّى الربيع، ما جربت انفرادك في طريق وسيرك مع الناس بالنسبة لذكرك وتفكرك.
* استمع أو اتل أو طالع أو أذكر الله ولا تضيع من وقتك شيئاً، إذا كانت

لك حاجة فأوجز في قضائها.

* إذا جالست الناس فأكثر من التبسم والصمت، ولا تكن مع الذين يجعلون ما رزقهم الله في ظهورهم وفي بطونهم.

* سئل أحدهم عن قرض الشعر فقال: هو عمرك فاصنع به ما شئت.

* من راعى الناس في الطاعات فاته خير كثير.

* هل تذكر فوائد الذكر الخفي كما ذكرها شيخ الإسلام؟ فقال أحد العارفين: لا تيأس من عدم حضورك مع الذكر فالفتح نفحة.

* من كلام الزهري رحمه الله تعالى: (من أخذ العلم جملة فاته جملة) والبخاري رحمه الله تعالى يرى إدامة النظر في المحفوظ احفظه.

* من كلام ابن عون: (ثلاث أحبهن وأحبهن لإخواني فذكر: تدبر القرآن وتفهم السنة وكف الأذى عن الناس).

* الماجريات مهلكة للوقت (وهو ذكر ما جرى للشخص في الحياة) وطول العمل مع زيادة في المعرفة.

* من كلام ربيعة بن عبد الرحمن: (لا ينبغي لمن عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه).

* يقول الحسن في النفاق (ومثله الرياء): ما خافه إلا مؤمن وما أمنه إلا منافق.

* العمامة تصنع الشيخ، وطالب العلم يعرف بجلوسه وخشوعه ودخوله وخروجه وسكينته..

* صاحب القرآن يعرف بليله إذ الناس ينامون، وبصومه إذ الناس يفطرون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبحزنه إذ الناس يضحكون.

* كما تقدم أن الجودة مع القلة، فمن ألزم نفسه بتدبر القرآن وتفهمه صعبت عليه الختمة، وكذلك الصلاة فمن أقبل عليها بخشوع وإخبات صعبت عليه الكثرة، بينما عدم الجودة تغري بالتكثير والسرعة.

الاطِّلاع الواسع

لا تزيد القراءة صاحبها إلا معرفة وسعة أفق وكلما طالع الإنسان تراث الناس وثقافتهم كلما اتسعت دائرة معرفته ونما عقله خاصة إذا قرأ النافع المفيد. وإنني أتأمل أموراً ظهرت لي وتجارب انكشفت لي ليس سببها إلا المطالعة في الكتب فقد مرت بي العجائب والغرائب والتجارب والمصائب وطويت أمامي القرون طيَّ السجل للكتب وكأن الأمم جمعت أمامي في صعيد واحد فيا من صبر على العزلة وفتح له باب المعرفة ومصاحبة الكتب لا تأسف على شيء فاتك فما فقدت إلا حاسداً أو ملولاً أو ثقيلاً أو بغيضاً أو أحمقاً ومن ذاق حلاوة العزلة مع الكتب النافعة لا يريد بها تبديلاً ولو أعطي مُلك كسرى وقيصر.

القول السديد

وجدت أن اللسان مفتاح لقلاع الإنسان ورأس الأعضاء وأن الكلمة لها أثر على القلب والعمل، وأن أكثر الذنوب من اللسان بل قال بعضهم تسعة أعشار الذنوب من اللسان: ككلمة الكفر والكذب والنميمة والغيبة والسخرية واللعن والشتم وغيرها من الذنوب ومن وقي شر لسانه فقد وقي، ثم إن اللسان سريع الأثر كالسيف المسلول أحياناً

يغلبك على قول كلمة تندم عليها حيث لا ينفع الندم، وتجد العابد قائم الليل صائم النهار ثم يغتاب أو يكذب فيذهب أجره، وتجد العالم الورع المتقي تزل منه كلمة جرح في مسلم فتبقى فيه ثلمة لا تمحى. ومن نصح نفسه سجن لسانه وأطال حبسه فإن لم يستطع فليعتزل الناس ما استطاع فإن من جلس مع الناس وأطال معهم الجلوس جرّوه إلى الكلام شاء أم أبى، ولو لم يكن من الجلوس معهم إلا فضول الكلام لكفى بها خسارة فإن غالب الناس فارغ من الاهتمامات صفر من الهمة يسأل عن الأخبار والأسعار والأمطار ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ولو كان عندنا همم لبخلنا بوقتنا ولزمنا بيوتنا وبكينا على ذنوبنا. لكن سكرة الهوى غالبة والعادة لازمة وليس لها من دون الله كاشفة.

احذر أبا نوَّاس الشَّاعر

احذر أبا نواس إن قريضه سم ويدعو الناس للعصيانِ

أبو نواس شاعر متهتك، شعره مجون وسخف وانحطاط فما عليك إلا بمصادرة ديوانه إن كنت تريد حظراً صحيًّا على القلب وصيانة ثقافية للأهل ورقابة على الأجيال ولا نرى أدباً مثل هذا الأدب العاري الذي يدعو لسوق الرذيلة ويحطّم الفضيلة ولا يخدعنك ثناء بعض الأدباء على ديوان أبي نواس فذلك مبلغ علمهم ولو نهلوا من معين القرآن والسنة ورضعوا ثدي الثقافة الراشدة الواعية ما قالوا هذا الكلام، لكن الهوى غلّاب والرشد غائب والعقل في حجاب والنفس أمّارة.

إياك وكتاب الأغاني

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني على سعة دائرته وكثرة شواهده كثير الأذى ظاهر الفحش مليء بالسم وصاحبه رقيق الديانة عديم الورع. واقتناء مثل هذا الكتاب ضرر على الأبناء وليس للعبد أن يورّث أهله ما يسوءهم ويساعد على بعدهم عن الدين فإن الكتب يقرؤها الولد والضيف وتبقى تبعتها على من جاء بها فاحذر هذا الكتاب. أقوله عن معرفة تامة بالكتاب ففيه من التفسخ وقلة المبالاة والكذب ما يكدر الخاطر ويزعج القلب ولا يغرك مدح ابن خلدون له فهو نظر إلى شيء وسكت عن أشياء وعليك في الأدب بأنس المجالس وروضة العقلاء وعيون الأخبار والعقد الفريد على حذر من هذا الأخير. وكتاب الأغاني تنقصه الأمانة في النقل والرشد في الرأي والنصيحة في الدين فقد حشاه صاحبه بالمجون والفحش وفيه تسهيل للمعصية وتحبيذ للمخالفة فويل لهم مما كتبت أيديهم:

أما الأغاني فهو مورد شبهةٍ فالأصفهاني في الأغاني جاني

ضياع العمر

واحسرتاه تَقضَّى العمر وذهبت الأيام مع نقص في العمل وتقصير في السير وكل يلام ولكن أعظمنا لوماً شيخ طعن في السن يتابع الرياضة مفتون بالكرة وآخر يحضر مجالس الغيبة ولا يذكر الله إلا قليلاً، ورأينا من بلغ الثمانين وهو في حفلات الطرب يرقص كأنه

ابن عشرين وكأنه لا يعلم أنه على شفير القبر. وكل هذا من الخذلان وعدم التوفيق. وماذا عليهم لو أدمنوا ذكره سبحانه وحفظوا العمر بالطاعات وأكثروا من الصالحات وبكوا على ما سلف من السيّئات.

هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ما بال أشيب يستهويه شيطان

القرآن يدعوك للسعادة

القرآن يدعو إلى حسن الظن بالله، والتوكل عليه، والفأل الحسن، والثقة بموعود الحق سبحانه، وانتظار الفرج منه وتيقن اليسر بعد العسر، ويحذر من الحزن على ما مضى لأنه مكتوب، والخوف من المستقبل لأنه غائب، ويعد بالغنى بعد الفقر، والعزة بعد الذلة، وينهى عن اليأس والقنوط والإحباط وسوء الظن والشك ويأمر بإخراج دغائل النفس وأمراض القلوب، من حسد وحقد وغل وشحناء واجتناب التجسس وتتبع العثرات والفرح بالزلات، ويأمر بالصفح والعفو والصبر والإحسان والغفران، وكتم الغيظ وحبس الغضب، وحسن الخلق.

إن هذا الكتاب الكريم أعظم كتاب يدعوك للسعادة والفرحة والسرور والحبور والبشر، إنه يبشرك أن اهدأ واثبت واسعد وتفاءل وافرح واستبشر فإن وراء الليل صباح، وخلف الأكمة روضة، وبعد المفازة نهر، وعند الصخرة عين باردة، ومع الشمس ظل، وبعد التعب نوم هادىء عميق مريح ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

السُّنة في خطبة الجمعة

صلينا مع خطيب جمعة فأطال بنا طولاً يدع الحليم حيراناً، أنسى آخر خطبته أولها وخرج من موضوع إلى آخر وأسهب في السرد وأطنب في الحديث حتى ذهب روح الخطبة ورونقها ونام بعض الناس، أما علم هذا الخطيب أن أعظم الخطباء ﷺ كان يوجز في خطبته مع حُسن كلامه وروعة بيانه وإشراق لفظه ويقول: «إن قصر خطبة الرجل وطول صلاته مَئِنَّةٌ من فقهه». ومعلوم أن الكلام إذا زاد عن الحاجة أصبح كالكوب المملوء ماءً إذا زيد عليه ماءً تحدر منه بلا نفع، فيا أيها الخطيب اتبع السنة وأوجز في الكلام وحسن اللفظ وارفق بالناس فإن منهم من حضر إلى المسجد قبلك بساعات، ثم ما هو الداعي لحشد الموضوعات بعضها في بعض وكثرة هذا الكلام الإنشائي؟ إنه دليل على العيِّ وعدم الإلمام بالموضوع.

للنجاح خطة عمل

لكل ناجح في الحياة هدف يسعى إلى تحقيقه، وخطة عمل مرسومة أو برنامج معروف مدروس يسعى إلى تحقيقه؛ وإذا سألت أحدهم عن هدفه فقال لك: لا أدري، فاعلم أنه فاشل لن يذوق النجاح في حياته فطالب العلم مثلاً لابد أن يحدد مراده ومستقبله وهدفه وتخصصه إن كان يريد أن يكون مفتياً فعليه بدراسة الفقه وأصوله وفتاوى أهل العلم وأدلة المسائل والخلاف والإجماع، وإن أراد أن يكون واعظاً فعليه بدراسة فن الخطابة والتأثير وحسن العرض والقصص والشواهد

والأمثلة، وإن أراد أن يكون قاضيا فعليه بدراسة الأحكام وأحوال القضاة وأبواب التشريع وواقع الناس، وبهذا التحديد والتركيز والضبط ينجح طالب العلم في تحديد مراده والوصول إلى هدفه، كما أن أهل الطب لهم تخصص في الأسنان والجراحة والباطنية والأنف والحنجرة فكذلك أهل العلم الشرعي لابد لكل واحد منهم من مجال يجيد فيه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم لكل منهم وجه من الخير يجيده فمعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحرام وعلي بن أبي طالب في القضاء وأُبيّ بن كعب في قراءة القرآن وزيد بن ثابت في الفرائض وحسان بن ثابت في الشعر، وحذيفة في أحاديث الفتن، وابن عباس في التفسير.

الغنيمة الباردة

ما رأيت أنفع ولا أسهل ولا أصلح من ذكر الله عز وجل فإنه عباده دائمة في كل زمان ومكان ثم إنها لا تكلف مالاً ولا جهداً، وهي أسعد شيء للنفس وأشرح عمل للصدر، ومن عباد الله من فتح الله لهم باب الذكر فولجوه وأدمنوا ذكره وشكره فقطعوا المفازات إلى ربهم وسبقوا العباد مع راحة الأجسام فهنيئاً لمن أكثر ذكر مولاه، ووصيتي لنفسي وإخواني ملازمة الذكر وصرف جلّ الوقت له والتأنق في رياضه فإن غالبنا في هذا العصر لا يقوم الليل ولا يتنفل بالصيام وليس هناك قتال للعدو فبقي لنا هذا الباب العظيم وحق علينا أن ننهج العمل الميسر فهو جنة الله في أرضه من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.